أن يصل قمة التدرج وهو الإنسان الذى يشبه الإله فى عقله لا فى جسده، ولا يعنى ذلك أن هذا التطور تطورًا بيولوجيا كما جاء فى نظرية نشوء الأحياء عند أنباذوقليس[1] كفكر كلاسيكى أو نظرية النشوء والارتقاء عند دارون كفكر حديث. إنما التطور هنا أو التدرج جاء ثيولوجيا مستقى من خلال الفكر الدينى اليهودى الممثل فى الكتاب المقدس من ناحية، وإضافةً مزيجا من الفلسفة اليونانية عليه من ناحية أخرى. لدرجة يمكن أن نقول فيها أن هذا التدرج فى الخلق ما هو إلا تيمايوس مصغرًا نسبة إلى محاورة تيمايوس لأفلاطون، وهو ما سنوجه إليه بحثنًا.

ثالثًا: المؤثرات الأفلاطونية فى خلق العالم

إن أثر تيمايوس عند فيلون يعد تأثرًا عميقًا، ويمتد إلى معظم كتاب خلق العالم عند فيلون de oficio mundi، خاصة إذا استقطبنا الاعتبارات الرياضية أو رجعنا إلى الأصول الفلسفية والعلمية فى تكوين محاورة تيمايوس وتعاليمها التى تحتل مكانًا فعليًا فى فلسفة فيلون عن الخلق والتفاعل بين الحوار الأفلاطونى وكتاب خلق العالم عند فيلون تفاعلًا يثير الانتباه ويطرح تسائلا. هل فيلون هنا فى هذه المسألة كان مفسرًا أم ناقلًا أم تابعًا؟ والإجابة على هذا التساؤل تقتضى منا البحث فيما كتب فيلون عامةً أو ما يخص خلق العالم فى أبحاثه المتناثرة. لأن التأثر بأفلاطون لم يكن قصرًا على كتاب خلق العالم فحسب وإنما امتد إلى خمسة أبحاث أخرى وهى التأويل المجازى clegum allegbriae و من الوريث quis rerum diviner،

(1) وانظر أيضا شارل فرنر. الفلسفة اليونانية. ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968. ص 45.

And see also/ Burnet:. Early Greek philosophy, 3rd. edition. London. 1920. p 73.

de planttatime وفى الزروع أو المزرعة، العناية، أبدية العالم -de aeterni tate mundi،

1 ـ خلق العالم

وسنعرض لبعض هذه المؤثرات فى هذه الأبحاث. ولكن هناك بعض الخطوط العامة استعارها فيلون من أفلاطون فى هذه الأعمال وخاصة بحثه عن خلق العالم. وهى كالتالى:

أولى هذه الخطوط العامة هى اللغة: حيث يعتبر فيلون مدينًا لمحاورة تيمايوس فى اختيار مصطلحاته الفلسفية والتى وظفها مع النص الموسوى فى معظم الحالات. وسارت فى معظم كتاباته، وهذه الطريقة كانت شائعة لدى فلاسفة العصر الهلنيستى وقد يتضح استعمال هذه المصطلحات فى اليوم الرابع والخامس والسادس فى عملية الخلق فى كتاب خلق العالم[1].

أما الثانى وهو الخيال. اقتبس فيلون من أفلاطون خياله الواسع ومنها على سبيل المثال القدرة الخلاقة للديمورج، وهبوط النفس، وثلاثية أبعاد النفس، ونضالها ضد الإنفعالات passion ولا يعنى ذلك الخيال تزيين، ولكنه لعب دورًا أساسيًا فى الترميز للقضايا الفلسفية التى أضفاها على فكره الدينى.

أما الثالث الأغراض التأويلية. التى استمدها فيلون لشرح النص المقدس لاعتقاده أن كليهما ـ النص الدينى والنص الفلسفى ـ لأفلاطون يدوران فى فلك واحد، أو أنهما على حد سواء[2].

(1) Douwe Theunis Runia: philo of Alexanderia and the Timoeus of plato, boekhandel edition. Amaster Dam university. 1938. pp 332- 33.

(2) Ibid. p 341.

ورغم هذه الملاحظات العامة لم يهدف فيلون إلى كتابة خلق العالم كما هى عند أفلاطون من منظور فلسفى بحت. لأن الصفة الأساسية التى تحكم عمله هى نتائج مترتبة على النص الدينى الموسوى، والتفاسير المفصلة للأحداث المتعددة التى عرضنا لها سابقًا والتى تصف ما أوحى به إلى موسى رغمًا من كل أوجه الاتفاق الفلسفية التى توجد فى النص الفيلونى، وسياق الأدلة هنا أن فيلون لم يتبع محاورة تيمايوس فى الحديث عن خلق العالم ولم يتحدث عن تركيبة النفس والجسد التى تعرض لها أفلاطون فى بداية حواره[1]. أضف إلى ذلك أن العالم الواحدى عند فيلون noetic world الذى خلق فى اليوم الأول يسير بنفس المستوى على خط مستقيم فى اليوم الثانى، وهكذا دواليك حتى اليوم السادس الأخير، وأن المدينة الأحادية التى خلقها خالق واحد لتدل على واحديته ذكرت باختصار مجحف على عكس أفلاطون التى شغلت عنده حيزا كبيراَ، بل والأكثر من ذلك أن المدينة السماوية التى عرض لها أفلاطون فى محاورة تيمايوس لم تذكر عند فيلون إطلاقًا.

وإذا كانت هذه بعض النقاط الفاصلة بين أفلاطون وفيلون إلا أن هناك مبدأً جديدًا إضافة فيلون وينم عن فكره الدينى وهو مسألة خلق العالم من عدم حيث إن فيلون رأى كما ألمحنا من قبل أن العالم مخلوق من عدم إلا أن التميز الذى وضعه أفلاطون لا يساوى تمامًا الخلق من العدم، إذ أن الفلسفة اليونانية كلها لم تعرف ذلك الخلق من العدم، وهذا واضحًا لدى جميع الفلاسفة اليونانيين[2].

(1) أفلاطون: محاورة تيمايوس 31 ـ d ص 217.

(2) د. مصطفى حسن النشار: فكرة الألوهية عتد أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الاسلامية والغربية، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1984 ص 197.

يجب ان نلحظ جيدا أن الحديث عن خلق العالم عند أفلاطون يقتضى الحديث عن مدى حدوث العالم أو أزليته وهو ما تركه أفلاطون بدون حل إلا ان أرسطو فى كتابه

لكن ما يؤخذ على فيلون فى هذه المؤثرات هو جانب منهجى يتفق فيه الباحث مع جودنو goodenough [1] هو أن عمل خلق العالم عند فيلون يعد عملا صعبا، وذلك واضح من خلال الجهد الذى يمكن إدراكه، ومن التفاصيل التى تندرج تحت هذا الخلق، وإمكانية إيجاد تكامل لهذه التفاصيل، ونسقه الخفى أو المنهجية الخفية التى تطرح حلولا فلسفية فى تفسيراته لدرجة أن الحكم فيها يتطلب جهدًا من جانب القارئ الذى يتركه فيلون فى ظلام تام، دون أن يفسر أو أن يكشف عن منهجيته، ففى الفصل 5 ـ 12 يضع منهجًا صحيحًا فى التكوين ويعرضه تمامًا ويدافع عن عالم الواحدية فى الفصل 25 ـ 16 ويرجع مرة أخرى لمكونات العالم الواحدى (المثالى) فى الفصل 35 ـ 29، ذلك مما دعى ولفسون wolfson يثير الشك حول مدى نسبة هذا البحث إلى فيلون.

2 ـ المؤثرات الأفلاطونية فى كتاب التأويل المجازى:

العلاقة بين كتاب خلق العالم والأبحاث التى تلته فى باقى أعمال فيلون

السماع الطبيعى يرى ان الأقدمين جميعا ما عدا أفلاطون اعتقدوا أن الزمان قديم اما هو فقد جعله حادثا، إذ قال انه وجد مع السماء وان السماء حادثه، وقد مر بنا ورأيناه يصنع دورا خاضعا للآلية البحتة قبل تدخل الصانع فيكون مقصودة على الأقل أن العالم حادث فى الزمان من حيث الصورة، وإذا اعتبرنا قوله ان النفس الكونية سابقه على جسم العالم، وأنها مصنوعة لزم أن جسم العالم مصنوع أيضا وان العالم حادث مادة وصوره، وإذا أخذنا عبارته «العالم ولد وبدا من طرف أول» بحرفيتها على ان تلاميذه الأولين ومن جاء بعدهم من الأتباع عارضو أرسطو فى أجراءه الكلام على ظاهره، وقالو أن تيمايوس قصة وأن للقصة عند أفلاطون حكما غير حكم الحوار والخطاب، وأن الغرض من تصويره العالم مبتدئا فى الزمان ومن قوله «قبل وبعد» سهولة الشرح فقط، وما عرضه أفلاطون فى تيمايوس لم يكن مذهبا فلسفيا أو لاهوتيا. انظر ا/ يوسف كرم: المرجع السابق ص 78 ونظر ايضا د/ مصطفى النشار: المرجع السابق ص 204.

(1) Goodenough(E.R): Introduction to philo jaedus, New haven, Yale, 1941,p45.

مثل كتاب التأويل المجازى وهو عبارة عن شرح وتفسير لكتاب خلق العالم وهو يمثل مشكلة كبيرة للباحثين[1] وواضح جدًا أن فيلون يرصد فيه قصة الخلق الموسوية كامتداد لنهاية سفر التكوين مبتدء بالإصحاح الثانى السطر الأول، ولا يحتوى على قصة آدم وحواء غير أنه معنونًا بها، وعلة ذلك أن الإشكالية تعلو على عقولنا والمحور الأساسى الذى يناقشه كتاب التأويل المجازى هو مسألة تأويل النفس ـ وهى مشكلة تتعلق بالإنسان المكون من النفس والجسد.

القسم الهام من هذا الكتاب الذى يتضح فيه التأثير هو ذلك القسم الذى يجعل فيه النفس مصدرًا للتأويل مضيفًا إليها نوعًا من الاعتقاد الفلسفى بإشارات توازى ما وجده فى سفر التكوين الإصحاح الثانى والرابع، وما يوازيها فى مسألة الخلق وطريقة عمل النفس فى تيمايوس 41 .c – 44 [2].

إذا كان فيلون فى كتابه خلق العالم يستنتج مكانة الإنسان كعالم أصغر macrocosm ويصف بناءه كمخلوق مركب من النفس والجسد ومرتشدًا بالعقل فإنه يركز فى كتابه التأويل المجازى على العالم الأصغر ويعرض للديناميكية التى هى نتيجة لبناء الإنسان كجزء عاقل فى النفس يقذف بالمشاعر التى تزود بالإحساس وتضاد المشاعر التى تنتج عن ارتباط الجسد، بمعنى أن الإشكالية تنتقل من انثربولوجيا دراسة الإنسان إلى أن تأخذ حيزًا أخلاقيًا[3].

وقد فهم فيلون بشكل متواز العناصر الأسطورية التى لا يمكن إنكارها

(1) D. T. Runia: op. cit. p 33.

(2) لمزيد من التوضيح انظر تيمايوس من الفقرة 40 .a حتى 45 .d حيث يشرح أفلاطون لمسألة اتحاد الروح والجسد وما يحدثه الإحساس من اضطرا بات للجسد، وكيف تتدرك الحواس الأشياء طبقا لمبدأ الشبيه يدرك الشبيه (الباحث)

(3) Philo: Allegorical Interpretation 1, ch 11, 29 p 165.

فى فلسفة أفلاطون فى مسألة هبوط النفس الهابطة (النازلة) وقصة آدم وحواء. وإن كانت قصة الخلق عند فيلون لا تشير إلى أحداث مرتبطة بالزمن فحسب ـ محددة فى زمن illo tempore ـ فهى توضح ما يعادلها فى المشاعر الإنسانية ـ وإن جاز التعبير ـ إنها تتعمق فى خلجات النفس وهو ما نسميه الآن بعلم النفس.

وإن شئنا خلاصًا من هذه المقارنات أو التأثيرات فإن ذلك يحتاج النظر والتمحيص فى المنهجية التى اتبعها فيلون مستخدمًا كل مصادره التأويلية وقدرته على استثمارها بشكل متوازٍ، بالإضافة إلى توظيف علم النفس الأفلاطونى وكل مظاهر الطبيعة فى محاورة تيمايوس فى تفاصيلها المتعددة بالقصص الكتابى Biblical narrative [1].

3 ـ كتاب الزروع de plantatione

على النقيض من كتاب الخلق يصف هذا الكتاب العالم ككل وفكرة النموذج المضروبة مثلًا فى عقل الله تأخذ جانبًا، والتأكيد على وصف العالم بهذا الوصف الذى يفوق مسألة الخلق. فالخالق أنشأ النظام من لا نظام ورسخ العناصر الأربعة ـ النار والماء والهواء والتراب ـ فالعالم يمكن أن يكون كاملًا إذا صنعت أجزائه من عناصر كاملة أو إذا استخدمت العناصر الأربعة بأكملها فى بنائه.

ولكن السؤال هنا يطرح ذاته، لماذا لم يتحدد العالم تدريجيا فى محاورة تيمايوس ويأخذ منه ويضفى عليه من خلال تطور العالم الرواقى. حيث

(1) D. T. Runia: op. cit, p 334.

وإذا أراد القارئ مزيدا من المقارنات أو تكوين رؤية شامله للمؤثرات الافلاطونيه على فيلون السكندرى يرجع إلى الدراسة المتعمقة «لرنا» المكونة من جزأين وقد ذكرناهما فى الهامش سابقا لأن هذه الدراسة تحاول ان تكشف الجانب الدينى عند فيلون فحسب (الباحث).

حفظت العناصر الأربعة مكانها فى العقل الرياضى كما فى محاورة تيمايوس ولكن حفظت مكانها فى العقل الألهى الذى ركز نفسه بين العناصر الأربعة، وأخذ وظائف أعلى من نفس العالم الأفلاطونى، وأشرف على العناصر الأربعة من دائرة التغير، من ثم حولها كما فعل أفلاطون إلى جنس الحيوان الذى يسكن العناصر.

استمد فيلون هذا المخطط من تيمايوس[1] مضيفًا أن ميلاد المخلوقات النارية إلى السماء، والديمون أو الشيطان أو الملائكة إلى الهواء. فالعالم عند أفلاطون ينحو نحو الكمال وأخرهم حياة المثل التى تنتمى إلى عنصر الأرض حيث يسكن الإنسان والحيوان، مستعيرًا الكلمات المشهورة من تيمايوس[2].

ويؤكد فيلون أن الإنسان لا يكافىء أخيه الإنسان، إنما يناظر الله خالقه من اللوغوس المتوسط. ففعل الإنسان يمكن أن يتجاوز رابطة العالم متجها نحو الله كمخلوق غير خالق كما هو فى الكتب المقدس[3].

إن البناء الرئيسى لمحاورة تيمايوس شجع فيلون أن يحل الإنسان فى الإطار الكوزمولوجى ثم يستمر ليحلل التطور الأخلاقى والسيكولوجى ـ أعنى، أن حركة الفكر أو phyto– cosmological يحاول فيلون أن يصف به المذهب الكونى عند أفلاطون ويتوسط به آراء بوذدونيس posidonius فى تقديم صورة علمية يرتد بها إلى فكر أفلاطون[4].

ونهاية الحديث عن المنهج ونظام الكتاب يظهر فيلون مقربًا لمنهجية

(1) أفلاطون: تيمايوس فقره c39

(2) نفس المرجع: فقره 90 a ـ 91 e.

(3) D. t. Runia: op. cit. p 334.

(4) Ibid. 335.

اليونان فى فلسفته عن العالم فقد يذهب أكثر من ذلك للقول بأن كتاب de plantation ما هو إلا تيمايوس مصغر أتى به فيلون[1] ففيلون تحرر كلية من الافتراضات التى يفترضها النص المقدس الذى يمتاز بصورته الغالبة متجها للتأويل المباشر لنصوص الإصحاح الأول 27:1 والإصحاح الثانى 7:2 حيث يقدمان لهذه الأغراض النسقية.

كما أنه استبق العصر الوسيط فى مزج المذاهب النسقية بمواضع الكتاب المقدس المتفرقة، تلك السمة التى ستسود فلسفة العصر الوسيط، خاصة فى الفصل الأول فقره 27 التى يعطى فيها انطباعًا مختلفًا عن المحتوى الذى يأوله و اعتاد أن يمارسه[2].

4 ـ كتاب من وريث الألوهية Quis rerum divinarum heres sit

وهذا البحث غنى فى فكره حيث يعرض لإمكانيات المنهج التأويلى، وخاصةً أنه يبدأ بقضايا فلسفية متعددة وعلاقتها بنص سفر التكوين الذى يتحدث فيه الرب إلى إبراهيم ويعده فيه بالبركة[3].

لذلك من السهل أن يتضح الارتباط بين الفكر الدينى عنده فى هذا البحث وبين مذاهب الفلسفة اليونانية، لدرجة يمكن أن تقول فيها أن فيلون قبل أن يكتب أبحاثه أعطى لنفسه كورسا منشطا فى قراءة الأعمال الفلسفية المفضلة لديه ومن بينها محاورة تيمايوس التى تشغل حيزًا كبيرًا فى الفلسفة[4].

(1) Philo: De plantation, volI, the workes of philo translated by colson harvard university press, 1962, ch 2. 27. p 20.

(2) Ibid: ch 1, 7, p 10.

(3) سفر التكوين الإصحاح الثانى، سطر 18.

(4) Philo: de plantation, ch 1, 7, p 10.

5 ـ كتاب أبدية العالم:

فى بداية البحث تصريح لأهمية الحوار الأفلاطونى. لأن البحث هو تحديث لفقرتين فى محاورة تيمايوس[1] والنص المقابل[2] ففى وجهة نظر أفلاطون كما يرى فيلون أن العالم أزلى مستندا للفقرة 41a ـ b [3]. كما أنه يشير فيه إلى خمسة مذاهب، والنص المقابل doxography يعطى مفتاحًا لبناء العمل[4].

فضلًا عن ذلك فإن يرد فيلون آراءه فى خلق العالم ليس إلى أفلاطون أو هزيود وإنما إلى فكره الدينى الذى استقاه من موسى الذى سبق أفلاطون وهزيود، لأنه أكد فى سفر التكوين أن العالم خلق ولا يمكن أن يفسد ولكن فى الجزء الثانى من البحث يعكس ذلك بقوله العالم ليس مخلوق وغير قابل للفساد، ولا يمكن هنا أن نرى أن فيلون يحل وجهة نظره، إنما النقاش أو الفقرات التى يحويها الكتاب إعادة اكتشاف لتيمايوس[5] وهنا نرجع للتساؤل الذى سبق وأن طرحناه وهو هل أعمال فيلون مرجعيتها كاملة لأفلاطون، أم أنه مجرد واصف أو ناقد؟ هنا يمكن أن نقول على خلاف ما يثار بأتهام فيلون بأنه واصف أو ناقد، لأن فيلون لا يهدف أن يصيغ تفسيرًا لتيمايوس فى كل قضية يفسرها. فعلى سبيل المثال، وجهة نظر أرسطو فى أفلاطون التى انتقد

---

(1) أفلاطون. تيمايوس فقره 27 c - d وفقره 29 c - d.

(2) Philo: on Eaternity of world,the works of philo, Harvare university press 1962, volIX, ch 7. 34 p 209.

(3) النص الذى اعتمد عليه فيلون ويدل على أزلية العالم عنده يقول «يا آلهة من آلهة أخرى أن مبدعها وأبوها، إذ هى مصنوعات أحدثتها محبوكة لا تنفصم عراها ان لم اشأ ذلك، وأكيد كل ما ربط وركب يحل ولكن ابتغاء حل ما نظم ونسجم انسجاما بها فطابت حاله، وهو مبتغى الشرير». انظر محاورة تيمايوس 41 a.

(4) Philo: on Eaterinty, ch 20, 24 p 257.

(5) Goodenough (E.R): Op.Cit p 47 and see also D. T. Runia: op. cit. p 337.

فيها أفلاطون عن الزمن، ويجعل من أفلاطون قائلًا لحدوث العالم موجودة بالجملة فى أعمال فيلون، وبإيجاز، أن نقاشات فيلون جاءت دائمًا مدعمة لموقفه الدينى الذى يرى أن العالم أزلى قد خلق، بالإضافة إلى أنه يوضح الطريقة المثلى والمنهج الصحيح الذى يؤيد قضيته.

تعقيب

رأى فيلون أن هناك ضرورة لارتباط الفلسفة مع الدين ـ العقل والوحى ـ لتقديم نظرية كاملة عن خلق العالم، وهو فى نفس الوقت ينسب الحكمة كلها إلى موسى، لأن الله قد أعطى موسى الحكمة فكل حكمة لدى الفلاسفة هى حكمة تنسب إلى موسى، لأن حكمة الله سابقة على حكمة البشر.

جاء مفهوم الخلق عند فيلون متدرجًا على مرحلتين، فالله قد خلق العالم فى العالم المعقول أولًا ثم أخرجه إلى العالم المحسوس ثانيًا وعملية الخلق استمرت فى العالم المعقول من اليوم الأول حتى اليوم السادس، ولا يعنى ذلك أن الخالق محدد بزمن لأنه هو الذى خلق الزمان.

هذا التصور الدينى للخلق لم يخلُ من المؤثرات اليونانية، فقد تصور فيلون أن الله صانع كالصانع الأفلاطونى فى محاورة تيمايوس، وأحل الرب (يهوه) محل الإله أو الديمورج الأفلاطونى.